جامعة البصرة / كلية الاداب / قسم التاريخ

اسم المادة تاريخ العرب قبل الاسلام

المرحلة الاولى / العام الدراسي ٢٠١٩ / ٢٠٢٠ / مقررات الكورس الاول

مصادر المادة :ـ

١. د منذر عبد الكريم البكر / دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام
٢. د هاشم يحيى الملاح / الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام
٣. السيد عبد العزيز السالم / تاريخ العرب في الجاهلية
٤. د سعد زغلول / في تاريخ العرب قبل الاسلام
٥. د جواد علي / المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام
٦. د رشيد الجميلي / تاريخ العرب قبل الاسلام
٧. برهان الدين دلو / جزيرة العرب قبل الاسلام
٨. د خليل يحيى نامي / العرب قبل الاسلام
٩. د حيدر عامر هاشم السلطاني / الصلات السياسية بين القبائل العربية قبل الاسلام
١٠. د علي معطي / تاريخ العرب السياسي قبل الاسلام .
١١. د علي معطي / تاريخ العرب الاقتصادي قبل الاسلام
١٢. رينيه ديسو / العرب قبل الاسلام في سوريا
١٣. سعيد الافغاني / اسواق العرب
١٤. عرفان محمد حمور / مواسم العرب
١٥. كستر / مكة في الدراسات الاستشراقية
١٦. جرجي زيدان / العرب قبل الاسلام
١٧. عبد العزيز صالح / تاريخ شبه الجزيرة العربية
١٨. محمد الخطيب / حضارة العرب في العصور القديمة
١٩. د علي كسار / صناعات العرب في الجزيرة العربية قبل الاسلام
٢٠. اغناطيوس غويدي / محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الاسلام

المصادر الاولية لتاريخ العرب قبل الاسلام .

هنالك مصادر عديدة لتاريخ العرب قبل الاسلام منها : ـ

القرآن الكريم الذي يُعد من اهم المصادر العربية المدونة لتاريخ العرب قبل الاسلام واقدمها . كما انه اوثقها على الاطلاق . وهو كتاب صدق لا سبيل الى الشك في صحة نصه . قال الله سبحانه وتعالى : ((لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)) .

والقرآن الكريم يصور لنا جميع المظاهر المختلفة لحياة العرب في شبه الجزيرة العربية . فهو يتناول الناحية الفكرية والاخلاقية والاقتصادية والسياسية . فهو اصدق مرآة للحياة في العصر الجاهلي . والآيات القرآنية قد اجملت الاخبار التي تتعلق باقدم الاقوام العربية التي سكنت شبه الجزيرة العربية وذلك لان القرآن ليس كتابا ً تاريخيا ً صرفا ً يفصل القول في جزئيات الاحداث ، وانما اجمل في آياته الجوهر الاساس فيما يختص بتلك الاقوام . وقد جاء ذكر اقوام عاد كثيرا ً في القرآن الكريم فهم ذكروا باسم المنطقة التي سكنوا فيها .

كما ذكر القرآن الكريم اقوام ثمود ووصف لنا منازلهم التي كانت منحوتة في الجبال . ثم وصف كيف هلكوا بعد ذلك عندما كفروا بنبيهم صالح وابو الا ان يبقوا على الوثنية .

وما جاء في القرآن الكريم من اخبار مختصرة نجد له شروحا ً وتفصيلا ً اكثر في كتب التفسير . لذلك فان هذه الكتب ثروة تاريخية قيمة لا يمكن الاستغناء عنها في أي حال من الاحوال في الكتابة عن العصر الجاهلي . وفي هذا المجال يفيدنا تفسير الطبري المعروف بجامع البيان عن تأويل أي القرآن وذلك لان الطبري في الاصل مؤرخ فحاول ان يفسر الايات تفسيرا ً تاريخيا ً اذ يذكر الاحوال التاريخية والاجتماعية التي رافقت نزولها .

كما تعتبر كتب الحديث وشروحها من الموارد القيمة لتاريخ العرب قبل الاسلام لما حوته من اخبار لنواح مختلفة لاحوال ذلك العصر فلا بد من الرجوع اليها .

من مصادر تاريخ العرب قبل الاسلام الشعر الجاهلي .

وهو من المصادر المهمة في دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام لانه يعكس لنا احوال العرب آنذاك . ويقدم لنا صورة حية عما ساد ذلك العصر من طبيعة اجتماعية وسياسية ، وما كان يشيع فيه من تقاليد وعادات ومعتقدات وعلوم ومعارف فهو كما نعتوه (ديوان العرب) . فأننا نستطيع عن طريقه معرفة حياة العرب قبل الاسلام بما فيها من التفاخر بالانساب للمعتقدات الدينية والفكرية والصراع بين الاثرياء المترفين والفئات الاجتماعية من عبيد ، وصعاليك . كما ان الشعر الجاهلي يصور ما كان عند العرب من علوم ومعارف مثل الفلك والانواء والجغرافية من جبال ووديان وعيون وآبار وغيرها .

من مصادر تاريخ العرب قبل الاسلام المؤرخون المسلمون الاوائل .

ان الروايات والاخبار التي وصلتنا عن الفترة التي سبقت الاسلام روايات شفوية وعلى شكل اساطير تسودها المبالغة . وقد نسجها خيال الرواة في العصر الاسلامي ، لهذا لا يمكن الاطمئنان اليها ، وينبغي الاخذ بها بحيطة وحذر ، لان هذه الروايات المكتوبة في المراجع الاسلامية لم تؤخذ من مصادر مدونة وانما اخذت من أفواه الرجال . وهذا ما يجعلنا حذرين امام هذه الروايات . وقد تنبه الى ذلك من قبل ابن خلدون .

ان الروايات اليمانية الموجودة في المصادر العربية الاولى هي في اغلبها اسطورية تندر فيها المعلومات التاريخية الصحيحة . وانها كانت مشوشة فالاخبار المروية من القرن السادس الميلادي كانت مضطربة عن اليمن وهي مزيج من القصص الشعبية والاسرائيليات وتعمل على تمجيد عرب الجنوب في مختلف جوانب الحياة في الحروب وفي الحرف والصناعات والمآثر وغيرها . وقد تميزت الروايات التاريخية عن اليمن بما يأتي : –

١ – قلة فائدتها التاريخية لصبغتها الاسطورية .

٢ – انها تفتقد الى التسلسل التاريخي .

اما الاخبار التي جاءت عن شمال شبه الجزيرة العربية فهي اقرب الى الواقع التاريخي اذ كانت للمناذرة في الحيرة كتب تحتوي على اخبارهم وانسابهم وكانت تحفظ بالكتائس والاديرة . كما انه كان للعرب الشماليين روايات تروى في مجالسهم عن آلهتهم وحروبهم ومآثرهم وشؤونهم الاجتماعية .

ومن اوائل من تناقل اخبار عرب ما قبل الاسلام : عبيد بن شريه الجرهمي (ت نحو ٦٧ – ٨٦ م) وهو من الاخباريين الاوائل . عاش في الجاهلية وادرك الاسلام . وهو من صنعاء او من الرقة في العراق . كان معروفا ً عند الناس بالقصص والاخبار وقد ذكر انه وفد على معاوية، وقيل انه لم يفد عليه وانما لقيه بالحيرة لما توجه معاوية الى العراق . ولكن هناك شبه اجماع عند المؤرخين العرب على ان معاوية استحضره من صنعاء ، فصار يحدثه باخبار الماضيين . وعاش الى ايام عبد الملك بن مروان ، وله من الكتب كتاب الامثال وكتاب الملوك واخبارهم الماضيين . وفي الواقع ان جميع الاخبار التي ترد في كتاباته لها طابع قصص متأثر بالاسرائليات ، كما تدل السذاجة وضعف ملكة النقد .

ومن المؤرخين المسلمين الاوائل كان وهب بن منبه (ت . : ١٢٤ م) اليماني الاخباري من اهل ذمار بجوار صنعاء ، من اصل فارسي ومن احدى الاسرات الفارسية التي استقرت في جنوب بلاد العرب في العصور الجاهلية وهم الذين عرفوا بالابناء . ويقال انه من اصل يهودي ، واليه ترجع اكثر الاسرائيليات المنتشرة في المؤلفات العربية وقد زعم انه يعرف احاديث اهل الكتاب وانه قرأ ٧٠ و ٧٢ او ٧٣ او ٩٢ من كتبهم المقدسة .

ان اهتمام وهب ينصب في تاريخ وطنه اليمن وتاريخ اهل الكتاب . ونجد ان اخباره عن شهداء نجران وتعذيب ذي نواس وقصة فيميون تتفق مع ما جاء في المصادر المسيحية . ويعتبر وهب من خيار التابعين ثقة صدوقا . غير انه لم تكن لديه معرفة عن تاريخ عرب الحيرة والغساسنة ولذلك نجد ان الغالب على اخباره في هذا المجال السذاجة وقلة عمق المادة التاريخية .

اما الكتب المنسوبة الى وهب فهي كتاب الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم . وكتاب المبتدأ الذي استغله الثعلبي في كتابه (عرائس المجالس) والمبتدأ ما هو الا قصص عن الانبياء . وينسب الى وهب كتاب (الاسرائليات) وكتاب (المغازي) .

ويعتبر ابو عبيدة مصدرا ً اساسيا ً لكثير من المؤرخين فيما يتعلق بتاريخ العرب قبل الاسلام ولا سيما عرب الشمال ، وهو ابو عبيدة معمر ابن المثنى التيمي (ت . : ٢٠٨ هـ) من تيم قريش وهو مولى لبني عبيد الله ابن معمر التيمي . كما انه اكثر الرواة علما بايام العرب وانسابها .

ترك ابو عبيدة مؤلفات كثيرة اختلف في عددها المؤرخون وقد استطاع احد المعاصرين احصاء مؤلفاته فبلغت (١٣٤) كتابا ً ورغم ذلك فهناك مؤلفات له لا نعرف عناوينها ، وقد قيل انه صنف حوالي مائتي كتاب .

وكان ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت : ٢٠٤ او ٢٠٦ هـ) عالما ً بالانساب واخبار العرب وايامها ووقائعها ومثالبها ، واليه يرجع الفضل في تدوين الاخبار التاريخية الخاصة بمدينة الحيرة واسرتها المالكة مستندا ً الى المصادر والوثائق المكتوبة الموجودة في كنائس واديرة الحيرة . فهو بهذه الطريقة اقرب الرواة الى منهج المؤرخين .

وقد اورد ابن النديم تصانيفه كلها والتي تبلغ ١٤١ كتابا ً وهي في احاديث العرب قبل الاسلام ، وفي المآثر والبيوتات والمنافرات والمؤودات واخبار الاوائل وفيما قارب الاسلام في امور الجاهلية وفي اخبار الاسلام والبلدان والشعر وايام العرب وفي الاحاديث والاسمار .

ولا بد من التعرض لمؤرخ يماني حصيف الا وهو الهمداني ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف (ت : ٣٣٤) وقد اشتهر بابن الحائك وبابن ابي الدمينة .

سلك الهمداني مسلكا ً جديدا ً في التأليف اذ انه لم يعتمد على نقل الخبر والرواية ، وانما اعتمد على نفسه بالمشاهدة والمعاينة ، حيث زار الاماكن الاثرية ووصفها وصور لنا كثيرا

ً من الاوابد والتماثيل والنميات التي رأها في اليمن ، وقد ذكر جروهمان ان وصفه للاثار كان وصفا ً دقيقا ً . كما انه حاول قراءة المسند وترجمته الى العربية . وانه كان كثير الرحلات والتطواف بين اجزاء الجزيرة العربية ووصفها وصفا ً دقيقا ً ، وقاس بين مسالك الجزيرة بالدرجات وتعمق في تعريف الجبال ومواقعها ومسايلها والاعراب ولهجاتهم .

ونجد ان الهمداني لا يختلف عن غيره من الرواة في اخباره لتاريخ اليمن القديم بالنسبة لاهتماماتهم للخرافات والاساطير والمبالغات . اما مؤلفاته فقد كان عددها احد عشر كتابا ً منها كتاب صفة جزيرة العرب وكتاب الاكليل وكتاب الجوهرتين العقيقتين من البيضاء والصفراء .

ومن المؤرخين المسلمين الاوائل نشوان بن سعيد الحميري (ت : ٥٧٣ هـ) صاحب القصيدة الحميرية ، التي تفيدنا فائدة لا بأس بها في تدوين تاريخ اليمن القديم كما صنف كتابا ً في اللغة على وزن الافعال وسماه (شمس العلوم ودواء كلام العرب في الكلوم) .

وهنالك مصادر اخرى تعتمد في دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام منها النقوش ، والمصادر الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) ومن اشهر الكتاب : . بليني ، سترابو، و كتاب الطواف حول البحر الارتيري ، لمؤلف مجهول ، والتوراة ، والمصادر الحبشية .

جغرافية شبه الجزيرة العربية ؟

تقع شبه الجزيرة العربية في اقصى الجنوب الغربي من قارة آسيا ، وهي تعد من حيث المساحة اكبر شبه جزيرة موجودة في العالم ، إذ يبلغ طولها من خليج العقبة الى باب المندب ٢١٠٠ كم وعرضها من رأس محمد في الطرف الجنوبي لشبه جزيرة سيناء حتى البصرة ١٣٠٠ كم وعرضها الجنوبي من باب المندب الى مسقط ٢٠٠٠ كم . وان شبه الجزيرة العربية تقع وسط سلسلة من الصحروات التي تمتد كالحزام حول العالم القديم ، نحو الغرب عبر النيل في الشمال الافريقي وفيما يعرف بالصحراء الكبرى ، ونحو الشرق عبر سهول دجلة والفرات وخلال

الهضبة الايرانية الى بلاد التركستان وصحراوات آسيا الوسطى في التبت وغوبي . وهذا الامر له اهميته في ما يتعلق بتاريخ العرب والاسلام .

وان موقع شبه الجزيرة العربية قد مثل همزة وصل بين القارات الثلاث المعروفة في العالم آنذاك ، فهو يمثل اقصى الجنوب الغربي من آسيا ويقترب كثيرا ً من افريقيا عند مضيق باب المندب ، ويتصل اتصالا ً مباشرا ً بافريقيا عبر برزخ السويس الذي كان بوابة كبرى لعبور الهجرات من جزيرة العرب ومن آسيا الى مصر والمغرب .

لقد اطلق الجغرافيون العرب على شبه الجزيرة العربية صفة جزيرة العرب على سبيل التشبيه والمجاز وذلك لاحاطة المياه بها من جميع الجوانب ، حيث يحيط بها من المشرق الخليج العربي الذي اطلق عليه العراقيون القدماء البحر الجنوبي . ويحدها من الجنوب المحيط الهندي ويحيط بها من الغرب البحر الاحمر ، وقد اطلق عليه الجغرافيون العرب اسم بحر القلزم . وقد ذكر الهمداني ان الجزيرة العربية يحدها من الغرب شرم أيلة وما طردته من السواحل الى القلزم وفسطاط مصر . اما من الشمال فيحدها نهر الفرات ، والحقيقة ان نهر الفرات لا يمكن ان يكون حدا ً لشبه جريرة العرب شبيها ً بالبحار الثلاثة المحيطة بها . لذا فقد وصف هذا الحد بانه خط وهمي ، وذلك لان منطقة الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية تشكلان من الناحية الجيولوجية وحدة طبيعية لا يمكن فصلها . واما من الناحية التاريخية فان هذا الخط الوهمي المتصور ، هو وهم وخطأ ، فقد سكن العرب في شمال هذا الخط قبل الميلاد بمئات السنين سكنوا العراق من ضفة نهر الفرات الغربية وامتدوا في البادية حتى بلغوا اطراف الشام ، وسكنوا في فلسطين وطور سيناء حتى بلغوا ضفاف النيل الشرقية . وهي أرضون ادخلها الكتاب القدامى من اليونانيين والعبرانيين والسريان في جملة مساكن العرب ، ودعوها بالعربية وببلاد العرب لان اغلب سكانها كانوا من العرب .

لقد استمدت شبه الجزيرة العربية اسمها من اسم الاقوام الذين كانوا يعيشون فيها وهم العرب ويبدو ان اقدم من اطلق عليهم هذا الاسم هم الاشوريون . وقد وردت الاشارة اليهم في نص اشوري من ايام الملك شلمنصر الثالث الذي قاد سنة ٨٥٤ ق. م حملة على ملك دمشق وحلفائه ، وكان بين هؤلاء الحلفاء شيخ عربي يدعى جُندب .

ويبدو ان كلمة العرب قد غدت صفة قومية عامة تطلق على العرب كافة سواء اكانوا من البدو او من الحضر قبيل الاسلام بقليل بدليل استخدام القرآن الكريم لها بهذا المعنى العام نحو قوله تعالى : ((وهذا كتاب مصدق لسانا ً عربيا ً لينذر الذين ظلموا)) .

اقسام شبه الجزيرة العربية حسب التقسيم الكلاسيكي ؟

ان اقدم ما وصل من تقسيمات شبه الجزيرة العربية هو ما كتبه الجغرافيون الكلاسيكيون من اليونان والرومان ، وهو تقسيم يتفق مع الناحية السياسية التي كانت عليها بلاد العرب في القرن الاول للميلاد . فالقسم الاول الذي اطلقوا عليه تسمية العربية السعيدة ويشمل اليمن معظم اجزاء جنوب شبه الجزيرة العربية .

اما القسم الثاني فقد اطلقوا عليه اسم العربية الصحراوية ولم يقم الكتاب اليونان والرومان بتعيين حدودها تعيينا ً دقيقا ً ، الا انه يفهم من مؤلفاتهم انهم كانوا يقصدون بها البادية الواسعة التي تفصل بين العراق والشام ، وهي البادية المعروفة باسم بادية الشام . وان العربيةالصحراوية كانت تقابل عند الآشوريين ما يقال له (أربى) وعند البابليين (ماتو أربى) وعند السريان والفرس (أربانة) .

وقد اطلق اليونان والرومان على القسم الثالث من شبه الجزيرة العربية اسم العربية الصخرية وكانوا يعنون به شبه جزيرة سيناء ومملكة الانباط التي اتخذت من (بطرا) عاصمة لها .

وعند المقارنة بين كتابات الجغرافيين اليونان والرومان عن شبه الجزيرة العربية وكتابات نظرائهم من المسلمين يتضح ان الاخيرين قد اخرجوا من حدود شبه الجزيرة العربية القسم الاكبر مما دعاه الكلاسيكيون أي اليونان والرومان – بالعربية الصخرية ، وكذلك العربية الصحراوية ، وركزوا اهتمامهم على العربية السعيدة أي الاجزاء الواقعة جنوب شبه الجزيرة العربية . وهو امر لا ينسجم مع حقائق الجيولوجيا والتاريخ .

كما قام هؤلاء الجغرافيون بتقسيم ما اسموها بجزيرة العرب استنادا ً الى طبيعتها الجغرافية ، وليس السياسية كما فعل اليونان والرومان ، ربما لان جميع هذه الديار كانت جزءا ً من دار الاسلام ، ومن ثم لم يجدوا ضرورة للنظر الى اقسامها من زاوية سياسية . وهكذا فقد قسموا شبه جزيرة العرب الى خمسة اقسام رئيسة هي : تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن .

التقسيم الاسلامي لشبه الجزيرة العربية ؟

قسم الجغرافيون المسلمين شبه الجزيرة العربية الى الاقسام التالية :

١ – تهامة

وهي الارض الممتدة من غرب جبال السراة الى البحر الاحمر ، وهي تمتد من اليمن جنوبا ً الى العقبة شمالا ً . ولانخفاض ارض تهامة قيل لها (الغور) و (الساحلة) . وقد اتسم مناخها بسبب انخفاض ارضها وقربها من البحر بشدة الحرارة والرطوبة . ومن مدنها الساحلية الحديدة ومخا وقنفذة ، ومن مؤرخي العرب من يجعل مكة من تهامة ، ومن تهامة ايضا ً ينبع ، وهي مدينة صغيرة تقع بالقرب من البحر .. ومنها ايضا ً جدة ، فرضة مكة وكانت عامرة بالتجارة . ومن تهامة ايضا ً الحديبية وتبوك وهي واحة تقع بين الحجر وبين اول الشام .

٢ – الحجاز

ان الحجاز هي سلسلة جبال السراة التي تحجز بين الارض العالية في نجد وبين الساحل الواطئ المسمى تهامة . فمنطقة الحجاز اذا ً منطقة ذات طبيعة جبلية تمتد من اليمن جنوبا ً وحتى العقبة شمالا ً . وقد عد قسم من العلماء تبوك وفلسطين من ارض الحجاز ، ويقال للقسم الشمالي من الحجاز ارض مدين وحسمي ، نسبة الى السلسلة الجبلية المسماة بهذا الاسم .
وطول الحجاز من الجنوب الى الشمال ٧٠٠ ميل ، وتتصل سلاسل جبال الحجاز بسلسلة جبال

الشام المهيمنة على البادية ، وبعض قمم هذه الجبال الحجازية مرتفعة وقد تتساقط الثلوج عليها كجبل وباغ الذي يرتفع ٢٣٠٠ م عن سطح البحر .

ان بلاد الحجاز تتخللها وديان كثيرة ، منها وادي اضم ، ووادي نخال ، ووادي بدا ، ووادي القرى ووادي الدبدبان . وان هذه الوديان تجري فيها مياه بعض العيون والامطار في موسم الشتاء مما يسمح بزراعة اشجار النخيل وبعض الزروع على جانبيها . لذا فقد حرص تجار القوافل الذين يعملون في التجارة بين اليمن والشام على سلوك الطريق الذي يمر عبر هذه الوديان . حتى غدا هذا الطريق شريانا ً من شرايين الحركة التجارية في العالم القديم .

ولاهمية بلاد الحجاز بالنسبة لحركة التجارة فقد نشأت على طريق القوافل عدة مدن تجارية مثل مكة والمدينة والطائف وخيبر ووادي القرى من اجل تقديم الخدمات لتجار القوافل والدخول معهم في صفقات تجارية ، وكانت ابرز مدن الحجاز في هذا المجال مدينة مكة .

٣ – نجد :

تعد هضبة نجد قلب شبه الجزيرة العربية وهي منطقة واسعة ، ليست لها حدود واضحة ، وهي تقع بين جنوب العراق والشام وشمال تهامة واليمن . كما تتوفر في قسم من مناطقها مياه جوفية تساعد على الزراعة وقيام بعض الواحات الخصبة عند استخراج المياه منها ، ومن ابرز هذه المناطق وادي الرمة في شمال نجد ووادي حنيفة في الوسط . كما توجد بعض المناطق المعشبة في جنوب نجد بسبب توافر العيون والآبار مثل منطقة الحريق و الخرج .

وقد قسم علماء العرب نجدا ً الى قسمين ، نجد العالية ، وهو ما ولي الحجاز وتهامة ، ونجد السافلة ، وهو ما ولي العراق .

٤ – العروض :

تقع هذه المنطقة جنوبي نجد وشمالي الربع الخالي ، وهي تتألف من اليمامة والبحرين وما والاهما وغالب اراضي هذه المنطقة صحارى وسهول ساحلية تقع على الجانب الغربي من الخليج العربي . وتضم منطقة العروض اقساما ً عدة ، منها : شبه جزيرة قطر التي تمتد من

عمان الى حدود الاحساء ، وكان سكانها يشتغلون بصيد الاسماك واستخراج اللؤلؤ ، وفيها واحات قليلة ، وقد اشتهرت قديما ً بانواع من الثياب والمنسوجات القطرية كانت تصدر للخارج .

اما المنطقة الثانية من العروض فهي الاحساء وكان يقال لها قديما ً الاحساء والبحرين ، والقسم الاكبر منها سهل صحراوي ، وان لم يخل من الآبار التي توجد في المنطقة الساحلية .

وتقع بالقرب من هجر خرائب أثرية يعتقد العلماء انها موضع (جرها) المدينة التجارية العظيمة التي اشتهر امرها في العالم القديم ، وكانت محطة من المحطات التجارية العالمية ، وكانت ملتقى طرق القوافل التي كانت ترد من جنوب بلاد العرب قاصدة العراق.

اما اليمامة فكانت تعرف باسم (جو) وقاعدتها حجر . وكان في اليمامة عند ظهور الاسلام مدن وقرى من اشهرها مدينة سدوس ، كما اشير الى ان في قربها ابنية قديمة يظن انها من آثار حمير . وقد نشر فليبي صورا ً لبعض الآثار التي عثر عليها في (قرية الفاو) من ضمنها كتابات باللهجات العربية الجنوبية تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد .

٥ – اليمن :

ورد اسم اليمن في النصوص العربية الجنوبية باسم يمنت أو يمنات . وقد اختلف في سبب تسمية اليمن بهذا الاسم فهناك من ذكر ان هذا الاسم مشتق من اليمن والبركة لان ارض اليمن أخصب بلاد العرب لذا وصفت باليمن السعيدة واليمن الخضراء لكثرة اشجارها وثمارها وزروعها . في حين ذهب آخرون الى ان اليمن سميت بهذا الاسم نسبة الى اتجاه اليمين وذلك بالنسبة لمن يتجه من مكة الى الشام فتكون على يمينه . وتشمل ارض اليمن اقاليم حضر موت ومهرة وظفار وعمان حتى تصل الى الركن الشرقي من شبه جزيرة العرب على ساحل الخليج العربي .

ويقع الى الشرق من اقليم اليمن الجبلي اقليم حضر موت الذي تكثر فيه الحجارة البركانية ، ويوصف بان به رمالا ً كثيرة في شكل تلول تعرف بالاحقاف . ويخترق اراضي حضر موت واد تجتمع فيه سيول الامطار ، ويزرع الناس على ضفافه وفي الوديان المتفرعة

عنه بعض المزروعات . والى الشرق من حضر موت تقع بلاد مهرة التي عرفت باسم مدينتها ايضا ً (الشحر) .

اما عمان فهو اقليم يقع شرق حضر موت في الركن الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة العرب على مدخل الخليج العربي . وتتألف اراضي عمان من اماكن جبلية وهضاب متموجة وسهول ساحلية ، ومناخها حار وتتوافر فيها مصادر المياه التي تساعد على الزراعة . اما عاصمتها فهي مدينة (صحار) .

وغالب اهل عمان من العرب الازد ، وقد حفزهم موقع بلادهم على الاشتغال بالتجارة وركوب البحر . وللعمانيين صلات وروابط بسواحل افريقية والهند كما ان في عمان اعدادا ً كبيرة من الزنوج والهنود والفرس .

ان شبه الجزيرة العربية حلقة في سلسلة الصحارى الممتدة من شمال افريقيا وحتى اواسط آسيا ، ومن ثم فقد كانت السمة الغالبة على مناخها انه مناخ قاري ، حار ، جاف قليل المطر .

وعلى الرغم من احاطة البحار بشبه الجزيرة العربية من ثلاث جهات فانها لم تفلح في مقاومة عوامل الجفاف بصورة قوية وذلك لان كلا ً من البحر الاحمر والخليج العربي لم يساعدا على الحد من شدة الجفاف وذلك لضيق كل منهما . اما البحر العربي في الجنوب فان رطوبته قد ساعدت على سقوط الامطار في الاطراف التي تليه من شبه الجزيرة العربية ، وان كانت رياح السموم التي تنتاب شبه الجزيرة العربية في مواسم معينة من السنة تفسد على رياح البحر المحملة بمياه الامطار عملها وتمتص رطوبتها قبل ان تمضي الى اعماق شبه الجزيرة .

وهكذا نلاحظ ان الامطار على وجه العموم قليلة في شبه الجزيرة العربية . ففي الحجاز تسقط الامطار على نحو متقطع ، وقد ينحبس المطر لعدة سنوات . كما قد تنهال الامطار بغزارة فتملأ الوديان بالماء وتهدد السيول المدن بالغرق .

ويتميز جنوب شبه الجزيرة العربية بحصوله على امطار موسمية في فصل الصيف تكفي لنشوء مراع خضر ، وزراعة منتظمة في اليمن وعسير وعمان . وتمتد الخضرة في هذه الاقاليم الى نحو مائتي ميل من الساحل .

لقد ترتب على توزيع الامطار على هذا النحو على اقاليم شبه الجزيرة العربية ان ظهر نمطان اساسيان من انماط الحياة فيها ، ففي المناطق التي تسقط فيها نسبة من الامطار تساعد على ظهور الزراعة المنتظمة ظهرت الحياة الحضرية المستقرة وما تفرع عنها من مؤسسات اجتماعية وسياسية كما هو الامر في اليمن ومنطقة الهلال الخصيب في شمال شبه الجزيرة العربية . اما المناطق التي لا تسقط فيها الامطار او تسقط فيها بنسب ضئيلة فقد غلبت على اهلها حياة البداوة والتنقل الدائم بحثا ً عن الكلأ والماء لرعي ابلهم ومواشيهم .

وكان من اهم ما اشتهرت اليمن بزراعته في العصور القديمة البخور واللبان والصمغ والمر ، وقد كانت هذه المنتوجات التي انفردت اليمن بتصديرها الى بلدان الشرق الادنى ومنطقة البحر المتوسط مصدر رخائها وغناها .

ولم تقتصر منتوجات اليمن الزراعية على السلع الآنفة الذكر بل تعدتها الى انتاج الحبوب كالحنطة والشعير والذرة والارز فضلا ً عن الخضر والبقول وانواع الفاكهة مثل التين والاعناب والرمان والزيتون والتمر .

ولم يكن انتاج هذه الحاصلات موقوفا ً على اليمن بل انه امتد الى جميع الاقاليم الجنوبية من جزيرة العرب وبعض المناطق الاخرى التي تتوافر فيها كمية مناسبة من الماء مثل بعض مدن الحجاز كالطائف ويثرب وخيبر وغيرها .

وترتبط تربية الحيوانات واستثمارها بتوافر المياه والزراعة . لذا عرفت الاقاليم العربية التي تتوافر فيها اسباب الزراعة تربية الحيوانات كالابقار والاغنام والماعز والحمير والبغال والخيل والجمال وغيرها . كما سمحت هذه الاقاليم التي فيها اسباب الحياة للحيوان بوجود انواع كثيرة من الحيوانات البرية كالاسد والنمر والفهد والثعلب والذئب والقط الوحشي والضبع والبقر الوحشي والنعامة والغزال وغيرها . وكان العرب يصطادون الكثير من هذه الحيوانات .

ويلاحظ ان الجمل قد انفرد من بين جميع الحيوانات الاليفة بمكانة خاصة عند العرب ، وذلك لانه قادر على العيش والتكيف مع ظروف شبه الجزيرة العربية المناخية فليس لحيوان آخر القدرة على اجتياز البوادي واختراقها وتحمل مشقاتها وعطشها مثل الجمل . ثم انه مركب العرب ، يحملهم ويحمل تجارتهم وماءهم ، وهو ممونهم بالوبر لصنع البيوت حتى قيل للاعراب (اهل

الوبر) ، ومنه يصنعون اكسية عديدة . ولبن الابل ، هو لبن اهل البادية ، واذا احتاجوا الى لحم ذبحوا الجمل ، فاكلوه ، وافادوا من جلده .

ولذا فقد حرص العرب على اقتناء الجمال وتربيتها واستخدامها حتى اصبح عدد الجمال التي يملكها الفرد مقياساً لثروته وغناه . بل ان الجمل اخذ يقوم مقام النقود في التبادل المالي ، فبعدد من الابل يقدر مهر الفتاة ، وبعدد من الابل تقدر الديات وتحسم المنازعات وهكذا .

وفضلاً عن الجمال ، فقد نجح العرب في تربية اجود انواع الخيول واستخدامها في تنقلهم وحروبهم ، الا ان مدى الاستفادة منها كان اضيق كثيراً من الجمل ، وذلك لصعوبة تنقل الخيل فوق رمال البوادي وعدم قدرتها على تحمل العطش الشديد .

ومن ثم فقد انحصر استخدامها في الارياف والمناطق القريبة من الحضر . وكانت الغاية الاساس التي يتوفاها العرب من تربية الخيل هي استخدامها في الحروب وذلك لسرعتها وخفتها في الحركة فضلاً عن استخدامها للتسلية واللهو والسباق . وقد اشار القرآن الكريم الى الخيل بصفتها مصدراً من مصادر القوة والثروة والزينة .

وعلى الرغم من ضعف وسائل التنقيب عن المعادن واستثمارها في العصور القديمة فان هنالك من الادلة ما يشير الى ان العرب قد عثروا على بعض المعادن المهمة في شبه جزيرتهم ، وانهم قد عملوا على استغلالها والاستفادة منها . وكان من اهم هذه المعادن الذهب والفضة والصفر والحديد والعقيق .

موطن العرب القديم و ابرز النظريات التي تناولت الموضوع ؟

عمل الآثار يون والمؤرخون على بناء بعض الفرضيات والنظريات عن موطن العرب القديم ، فقد لاحظوا ان الاكديين والآشوريين والكنعانيين والآراميين والعبرانيين والعرب الشماليين والجنوبيين والاحباش كانوا يتكلمون بلغات تتشابه في كثير من اصولها وملامحها ، فاستنتجوا من اسلاف هذه الاقوام كانوا في الماضي البعيد يتكلمون لغة واحدة ، سموها (اللغة الأم) وان الاختلافات التي وقعت بين لغات هذه الاقوام انما ترجع الى استيطان هذه الاقوام في مواطن أخرى وابتعادها

عن موطنها الأول . وهكذا وبمرور الزمن أخذت لغاتها تبتعد بصورة او بأخرى عن اللغة الأم حتى اصبحت لغات مختلفة مع محافظتها على وحدة الأصول الأولى وملامحها العامة . ومن اهم هذه الفرضيات والنظريات هي :

١ – ذهب بعض الباحثين الى افتراض ان الموطن الاول لاقوام شبه الجزيرة العربية التي اصطلحوا على تسميتها بـ (الاقوام السامية) هو افريقية . وكان من ابرز القائلين بهذه الفرضية نولدكه ، وقد بنى فرضيته على وجود تشابه كبير بين بعض المسائل في اللغات السامية واللغات الحامية السائدة في شمال افريقية كاللغة المصرية القديمة .

كما دعم نولدكه فرضيته بوجود تشابه في تركيب الجسم بين الحاميين والساميين وبخاصة سكان جنوبي الجزيرة العربية ، إذ يلاحظ ان عضلة الساق هزيلة عند كلا القومين ، كما يشتركان في تشابه شعر الرأس للصوف وكذلك في بروز الفكين .

والحقيقة ان الادلة التي استندت اليها فرضية نولدكه لا تبدو قوية . وذلك لان التشابه في بعض جوانب اللغة وفي ملامح الجسم قد يكون نشأ عن هجرة بعض اقوام شبه الجريزة العربية الى افريقية عبر باب المندب وشبه جزيرة سيناء ، وقد تحقق ذلك من خلال هجرة الهكسوس الى مصر ، وكذلك هجرة بعض العرب الجنوبيين الى الحبشة ، حيث كونوا هنالك دولة (اكسوم) التي كانت تتكلم اللغة الجعزية ، وهي من لغات العرب الجنوبية ، كما ان قلمها يشبه قلم المسند الخاص بعرب الجنوب .

واذ كان هنالك تشابه في ملامح الجسم وتركيبه بين سكان افريقيا وبين سكان العربية الجنوبية فهل يوجد مثل هذا التشابه بينهم وبين عرب شمال شبه الجزيرة العربية في العراق والشام .

ان الاعتراضات الآنفة الذكر وغيرها قد حملت الباحثين على التخلي عن هذه الفرضية والبحث عن فرضية اخرى للتعرف على الموطن الاول لاقوام شبه الجزيرة العربية .

٢ – وقد ذهب (فون كريمر) الى ان الموطن الاول لاقوام شبه الجزيرة العربية هي الهضبة المركزية في آسيا وتقع على مقربة من نهر سيحون ونهر جيحون ، وذلك لان دراسة لغات اقوام شبه الجزيرة العربية تشير الى وجود اسم الجمل في هذه اللغات . ولما كان الموطن الاصلي

للجمل هو الهضبة المركزية في آسيا فيفترض ان يكون هذا المكان هو الموطن الاصلي لهذه الاقوام .

والحقيقة ان هذه الفرضية تبدو في غاية الضعف لان اقوام شبه الجزيرة العربية لم تدجن الجمل وتستعمله الا في الالف الثاني قبل الميلاد ، كما ان الجمل حيوان متنقل ومن ثم فان بالامكان نقله والمتاجرة به من مكان الى آخر ومن ثم فان بالامكان افتراض ان هذه الاقوام قد جلبت الجمال من موطنها الاصلي واستخدمتها بعد ان وجدتها مفيدة لها في التنقل عبر البوادي العربية .

٣ – ويرى بعض الباحثين مثل (جون بيترس) ان الوطن الاول لاقوام شبه الجزيرة العربية هو ارمينية ، لان هذا المكان هو اكثر الاماكن اتفاقا ً مع رواية التوراة عن الطوفان ، ثم ان أنف سكان ارمينية يشبه كل الشبه الانف العبراني .

ان التأمل في الاسس التي قامت عليها هذه الفرضية تحمل الباحث على استبعادها ، وذلك لان اقوام شبه الجزيرة العربية لا تشترك جميعا ً في شكل الانف وبقية ملامح الجسم ، فضلا ً عن ان ما ورد في التوراة (سفر التكوين) عن الطوفان ورسو سفينة نوح ، هو رأي خيالي تماما ً كما يقول نولدكه ، وهو يتعارض مع رأي آخر ورد في التوراة (سفر التكوين ١١ / ١) يذكر ان كل كل الشعوب ومن بينها اقوام شبه الجزيرة العربية قد انحدروا اصلا ً من بابل .

٤ – وهنالك فرضية قديمة كان من ابرز المنادين بها المستشرق (جويدي) ، وتذهب هذه الفرضية الى ان الموطن الاول لاقوام شبه الجزيرة العربية هو بلاد بابل في جنوب العراق . وقد استندت هذه الفرضية الى اشتراك لغات هذه الاقوام في المفاهيم الجغرافية والنباتية والحيوانية التي توجد اصولها في جنوب العراق .

ولكن هذه النظرية تم تفنيدها اذ ان هنالك الكثير من المصطلحات المشتركة بين لغات اقوام شبه الجزيرة العربية الشمالية والجنوبية ومع ذلك فانها لا يمكن ان تكون قد نشأت في جنوب العراق ، كما انه من الصعب تصور ان يكون الموطن الاصلي لهذه الاقوام في جنوب العراق وهي اراض

ٍ خصبة ثم يقوموم بالهجرة عنها الى اماكن صحراوية في شبه الجزيرة العربية . ان المسألة الاقرب للتصور في هذا المجال هو حصول العكس من ذلك تماما ً .

٥ – واخيرا ً فقد ذهب اغلب الباحثين وكان من ابرزهم شبرنكر وسايس ودي كويه وبروكلمان ، وفيلبي وكيتاني الى ان موطن اقوام شبه الجزيرة العربية الاول هو شبه جزيرة العرب نفسها وان اختلفوا في تحديد الموضع الذي كانوا يقيمون فيه منها ، اهو جنوب شبه الجزيرة العربية وبخاصة اليمن ، ام انه وسطها حيث تقع هضبة نجد ام انه شرقها ولا سيما البحرين والسواحل المقابلة لها .وقد استند اصحاب هذا الرأي الى جملة ادلة كان من ابرزها ما يأتي :

أ . ذكر كيتاني ان مناخ شبه الجزيرة العربية كان في العصور الجليدية الاخيرة كثير الرطوبة والامطار .

ب . انخفاض مستوى سطح المياه الجوفية في شبه الجزيرة العربية ، حتى ان الماء قد انخفض زهاء سبع وعشرين قدما ً عن مستواه الذي كان عليه قبل ألفي عام مما يدل على استمراء ظاهرة التصحر في شبه جزيرة العرب .

جـ . كما ان بعض الباحثين قد عثروا على بعض المناطق الصحراوية من شبه الجزيرة العربية على محار من النوع الذي يكون في المياه العذبة ، وادوات من الصوان ترجع الى ما قبل التاريخ والعصور الحجرية ، وبقايا عظام ترجع الى هذه العصور . ان هذه الآثار تدل على ان هذه المناطق الصحراوية كانت مأهولة بالسكان ، وان اصحابها قد هجروها بسبب عامل الجفاف الذي اصابها منذ الآف السنين .

د . وقد ذهب فيلبي الى ان الموطن الاول للاقوام العربية القديمة هي الاقسام الجنوبية من شبه جزيرة العرب ، فلما حل الجفاف اخذت تهاجر شمالا ً باتجاه منطقة الهلال الخصيب .

هل كان لاقوام شبه الجزيرة العربية القدماء اسم عام يجمعهم ؟

اقترح عالم نمساوي اسمه (اوغست لودويل شلوتسر) في عام ١٧٨١ اطلاق اسم اللغات السامية على اللغات الاكدية والكنعانية والعبرانية والفينيقية والارامية والعربية الشمالية والجنوبية

والحبشية والبنطية وامثالها ، وذلك لوجود اوجه شبه كبيرة بينها في امور اصلية واساسية من جوهر اللغة . لقد دفع هذا التشابه بين لغات اقوام شبه الجزيرة العربية شلوتسر الى الاعتقاد بان جميع هذه الاقوام قد انحدرت في الاصل عن جد واحد هو سام بن نوح استنادا ً الى ما جاء في سفر التكوين – الاصحاح العاشر – من التوراة عن اولاد نوح الثلاثة : سام وحام ويافث . فسمى لغات نسل سام باللغات السامية والمتكلمين بها بالساميين .

لقد استند المعارضون لمصطلح السامية الى جملة حجج لاثبات عدم دقة هذا المصطلح ، كان من ابرزها ما يأتي :

١ . ان التوراة التي جاء بها النبي موسى (عليه السلام) في القرن الثالث عشر قبل الميلاد لم تدون اقدم اجزائها وهي اسفار موسى الخمسة ، الا في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد من قبل احبار اليهود وهم في بلاد بابل . وقد ادى تأخر تدوين هذه الاسفار حوالي سبعة قرون الى ادخال تحريفات وتعديلات عليها بما يتلاءم مع اغراض اليهود واهدافهم ونظرتهم الى الاقوام الاخرى . لذا فلا تعد المعلومات الواردة في التوراة مصدرا ً دقيقا ً للمعلومات التاريخية وبخاصة اذا كانت تلك المعلومات تتحدث عن عصور مغرقة في القدم .

٢ . اوضح نولدكه ان ما ورد في التوراة عن اولاد سام بن نوح لا ينبني على وجهة نظر لغوية وانما هو قائم على اعتبارات جغرافية وسياسية . وقد عدت التوراة كلا من (عيلام) و (لود) من ابناء سام ، في حين انهم ليسوا منهم ، ومن جانب اخر لم تعد التوراة الفينيقيين من الساميين في حين انهم من صميم الساميين .

٣ . كما كان لما جاء في التوراة ، وما ذكره شلوتسر عن تقسيمات الشعوب الى ساميين وحاميين تأثير على بعض المفكرين العنصريين في اوربا في القرن التاسع عشر . فقد اكد ارنست رينان ان الساميين جنس منحدر من اصل واحد مشترك يتميز افراده بتشابه لغاتهم وبتركيب عقليتهم وبنظرتهم الجزئية للاشياء وبتأثرهم بالغيبيات وميلهم الى البساطة في التفكير . وان هذه الصفات التي تتميز بها العقلية السامية ترجع الى عوامل بيولوجية ووراثية في الجنس وانهم بذلك يختلفون اساسا ً عن الآرايين الذين يتفوقون على الساميين في مستوى عقليتهم ونظرتهم للامور .

ومن الواضح ان رينان كان ينطلق في نظرته الآنفة الذكر من منظور عنصري استعماري لا ينسجم مع قواعد البحث العلمي والموضوعية في معالجة هذا الموضوع . لذا فلم تحظى آراءه بالقبول من لدن معظم العلماء والباحثين .

٤ . لقد اشير الى ان السامية ليست اسماً لجنس بالمعنى المفهوم عند علماء الاحياء له خصائص جسمية وملامح خاصة تميزه عن الاجناس الاخرى ، فبين الساميين تمايز وتباين في الملامح وفي العلامات الفارقة يجعل اطلاق اسم جنس عليهم نوعاً من الاسراف واللغو ، كما ان هناك تباينا في داخل الشعب الواحد من هذه الشعوب في الملامح والمظاهر الجسمية مما يدل على وجود اختلاط وامتزاج بين دماء هذه الشعوب وغيرها .

٥ . في ضوء ما تقدم ، فان مصطلح الساميين يقصد به مجموعة من الشعوب يتميزون بحضارة ذات عناصر مشتركة تميزهم عن غيرهم من الامم وبخاصة في مجال اللغة ، ومن ثم ، فان هذا المصطلح لا يستند على اسس بيولوجية وانما يرتكز على اسس لغوية وحضارية .

٦ . لقد اشير الى ان مصطلح السامية على الرغم من عدم دقته من الناحية العلمية فانه يثير الالتباس من حيث دلالته على الشعوب . اذ يلاحظ ان هذه التسمية قد اطلقت على اليهود ، ووصف من يعاديهم بأنهم ضد السامية . بل ان العرب انفسهم قد وصفوا بانهم ضد السامية على الرغم من انهم من مجموعة الاقوام السامية . وهكذا فقد اصبح من الضروري ايجاد تسمية بديلة عن تسمية السامية والساميين للدلالة على اقوام شبه الجزيرة العربية ولغاتهم . ومنهم من اقترح تسميتهم بالاقوام العربية القديمة ، تمييزاً لهم عن العرب . ومنهم من سماها باقوام شبه الجزيرة العربية او الاقوام الجزرية ، نسبة الى شبه جزيرة العرب .

تاريخ الدول الجنوبية .

١ ـــ الدولة المعينة .

نشأت دولة معين في منطقة الجوف ، وهي منطقة سهلة ، تقع بين نجران وحضرموت ، الى الشمال الشرقي من مدينة صنعاء . وتمتاز هذه المنطقة بتربة خصبة تتوافر فيها المياه التي

تأتيها من الامطار الموسمية التي تسقط في فصل الصيف . كما شجع موقعها على طريق التجارة الناس على التوسع في التعامل التجاري .

ان من اشهر مدن المعينين هي مدينة (قرنو) التي عرفت بعد ذلك باسم (معين) ، وكانت عاصمة الدولة المعينية .

ومن المدن المعينية المهمة مدينة (يثيل) التي اقيم على انقاضها مدينة (براقش) وكانت من المراكز الدينية المهمة عند المعينين وفيها معبد الاله (عشتر) . ويبدو انه كان مربع الشكل . كما وجد لدى المعينين مدن اخرى مثل مدينة (نشق) و (رشن) و (هريم) و (كمنة) و (نشن) و (مكسوم) . كما يستدل من الآثار على ان المعينين قد انتشروا خارج منطقة الجوف ، وبخاصة في المدن التي تقع على طريق التجارة الى بلاد الشام مثل ديدان (العلا) وكانت مستقرا ً معينيا ً منذ العصور المعينية الاولى .

كما وجدت بعض النقوش المعينية في بعض المواضع خارج شبه الجزيرة العربية مثل جزيرة ديلوس في بحر ايجه ، ومصر في (الجيزة) مما يدل على وجود جاليات معينية كانت تمارس التجارة في هذه البلاد .

افترض بعضهم ان المعينين قد وجدوا منذ الالف الثالث قبل الميلاد . ورأى آخرون ربما وجدت في اواخر الالف الثاني قبل الميلاد ، في حين رجح آخرون ان هذه الدولة قد وجدت في الالف الاول قبل الميلاد . اما نهاية هذه الدولة فكانت بحدود القرن السابع قبل الميلاد في حين ذهب اخرون الى ان ذلك كان بحدود القرن الثالث قبل الميلاد ، وقد اتجه بعض الباحثين المعاصرين الى ان الدولة المعينية قد استمرت قائمة حتى القرن الاول او الثاني للميلاد .

تشير النقوش الاثرية الى ان حكام دولة معين كانوا ملوكا ً ، وان الحكم الملكي في هذه الدولة كان وراثيا ً . ويبدو ان ملوك معين كانوا في الاصل ملوكا ً كهنة شأنهم في ذلك ملوك سبأ (المكارب) .

وقد اثير الى انه كان من عادة حكام معين ان يتخذوا لهم مجالس للشورى تدعى (مزود) ، فكانوا يجتمعون فيها لتمضية الوقت ، وللبت في الامور ، وللفصل بين اتباعهم في خلافاتهم .

ويبدو ان نظام الحكم في دولة معين كان يتبع اسلوب الادارة اللامركزية في البلاد . فكان لكل مدينة حكومتها الخاصة بها ، ومعبدها ، ومجلسها الاستشاري الذي يدير شؤونها في السلم والحرب .

لقد كان ابرز واجبات ممثلي الملك وشيوخ القبائل وغيرهم من موظفي الدولة هو استغلال اراضي الدولة او تأجيرها ، وجباية الضرائب من الفلاحين والملاك والتجار وغيرهم ، كما كان من واجباتهم انشاء بعض المرافق العامة وصيانتها كالابنية الحكومية واسوار المدن والابراج والمعابد . وقد كانوا يقومون بهذه الاعمال مقابل ما هو مفروض عليهم من ضرائب وواجبات او مقابل تفويضهم التصرف في بعض الاراضي العامة .

وكان للمعبد جبايات خاصة به واراض واسعة يستغلها القائمون على شئونه ، كما كان للمعبد موارد ضخمة من النذور التي تقدم اليه باسم آلهة معين .

٢ ـــ الدولة القتبانة .

نشأت دولة قتبان في الاقسام الغربية من العربية الجنوبية في وادي بيحان ، وقد امتد سلطانها حتى بلغ ساحل البحر الاحمر عند باب المندب . وقد عرفت اراضي دولة قتبان بخصبها وبكثرة مياهها وبساتينها . لذا فقد عني القتبانيون بالزراعة فأقاموا مشاريع للري في وادي بيحان . وقد اكتشف المنقبون الاثاريون قناة رئيسة تمتد مسافة طويلة ولها مصاريف تتحكم في مياه السيول وتقوم بتوزيعها على الجداول الفرعية التي كانت تشكل شبكة منتشرة في الارض الزراعية على الجانبين . وكانت عاصمة دولة قتبان هي مدينة (تمنع) وتعرف حديثاً بـ (هجر كحلان) . ويبدو ان هذه المدينة كانت مدينة زاهرة في العصور القديمة .

كان حكامها الاوائل كهنة يشرفون على ادارة معابد الالهة ، ويوجهون الامور العامة باسم الآلهة لذا فقد كانت يطلق عليهم اسم (مكرب) وتعني الشخص المقرب من الالهة . وان اقدم حكام قتبان الذين وصلنا اسمه ، وكان يحمل هذا اللقب هو المكرب (سمه علي وتر) من القرن السادس قبل الميلاد تقريباً . وقد استطاع هؤلاء المكارب ان يوسعوا نفوذهم ويمدوا حدود

دولتهم حتى سيطرت في القرن الرابع قبل الميلاد على الشريط الساحلي الممتد من باب المندب حتى ما وراء عدن الى الشرق .

وفي حوالي منتصف القرن الثاني للميلاد تلاشت هذه الدولة في كيان الدولة السبأية التي بسطت سلطانها على اجزاء واسعة من جنوب الجزيرة العربية .

وتشير بعض الدراسات الى ان دولة قتبان قد عرفت نظام المجالس النيابية في الحكم . فقد ذكر انه كان فيها مجلس يدعى باسم (مجلس القبائل) يجتمع في السنة مرتين بدعوة من الملك في عاصمة الدولة وكان يضم في عضويته ممثلي القبائل المختلفة في البلاد .

٣ ـــ دولة حضرموت .

تقع دولة حضرموت في الجنوب الشرقي من بلاد اليمن وتتصل حدودها بحدود الدول اليمنية الاخرى التي عاصر بعضها بعضا ً ، ودخلت في علاقات تجارية وسياسية بعضها مع بعض في ظل ظروف ومتغيرات متعددة . وقد شكل وادي حضرموت الاقليم الرئيس الذي قامت عليه هذه الدولة . وان اتساعه ، وقرب مخزون المياه من سطحه ، بالاضافة الى تربته الغرينية اتاحت لساكنيه استنبات المحاصيل الجيدة .

لمملكة حضرموت عاصمة اخرى سبقت مدينة شبوة . هي مدينة (ميفعة) .

اما ميناء مملكة حضرموت الرئيس فهو (قنا) ، وهو يقع على ساحل البحر ، وقد شيدت على انقاضه مستوطنة حديثة اسمها (بيرعلي) ، ويوجد قربها حصن يدعى (حصن الغراب) وهو حصن مدينة قنا .

لقد كانت (قنا) كما تؤكد المصادر القديمة ميناء حضرموت الرئيس ، وكانت من مراكز التجارة العالمية في ذلك الوقت ، وكانت السلعة الرئيسة التي تصدرها حضرموت من هذا الميناء هي اللبان وهي بخور تصنع من العصارة الصمغية المستخرجة من اشجار اللبان . وفضلا ً عن اللبان (البخور) ، فقد كان يصدر من ميناء قنا (المر والصبر) . وهي مادة

تؤخذ من شجيرات تزرع في المناطق الغربية من مملكة حضرموت ، وقد كانت هذه المادة تستعمل في البخور والعطور وتحنيط جثث الموتى (عند قدماء المصريين) .

ان هذه الدولة قد نشأت في اواخر الالف الثاني قبل الميلاد ، وان اول ملك وصلنا اسمه هو (صدق ال) وقد حكم في حوالي سنة ١٠٢٠ ق. م . وقد اشار فيلبي الى ان هذا الملك لم يقتصر حكمه على حضرموت وحدها بل تعداها الى ارض معين . وقد استمر الامر كذلك من بعده حتى سنة ٩٦٠ ق. م حيث اندمجت حضرموت في مملكة معين ، وظلت كذلك مدة ثلاثة قرون حتى عام ٦٥٠ ق. م ومنذ عام ٥٤٠ ق. م اصبحت حضرموت جزءا ً من دولة سبأ حتى عام ١٨٠ ق. م حيث استطاع (يدع آل بين ابن رب شمس) ان يؤسس مملكة حضرموت الجديدة وعاصمتها شبوة منذ عام ١٧٥ ق. م ، وقد حافظت هذه المملكة على استقلالها اكثر من قرنين ثم وقعت تحت حكم دولة سبأ في حوالي سنة ٦٥ م . ويبدو ان حضرموت اخذت تحكم من قبل مكارب وليس ملوكا ً تحت السيادة السبأية طوال الفترة من ٦٥ م حتى سنة ٢٩٠ م حتى اندمجت في دولة سبأ وذو ريدان .

٤ ـ دولة سبأ وادوارها الاربع .

اولا : ـــ فترة حكم المكاربة .

كان حكامهم الاوائل (مكارب) أي حكاما ً كهنة ، يشرفون على ادارة معبد إله سبأ (المقه) أي إله القمر ، ويحكمون الشعب السبأي باسمه .

وقد عثر الآثاريون على كتابات في العراق ترجع الى عهد الملك سرجون الثاني ٧١٥ ق. م واخرى ترجع الى عهد الملك سنحاريب ٦٨٥ ق. م تتحدث عن أتاوة من الذهب والاحجار الكريمة والبخور قدمها مكارب سبأ لهما . ويبدو ان المقصود من كلمة أتاوة هنا هي هدايا قدمها مكارب سبأ للملوك الاشوريين من اجل توثيق صلاتهم التجارية والسياسية معهم .

لقد كان من ابرز الاعمال التي يذكرها التاريخ في هذه الحقبة من حكم مكارب سبأ عنايتهم الفائقة باقامة السدود على الوديان لجمع المياه وتوسيع الاراضي الزراعية حولها . فقد

ذكر ان المكرب (سمه علي ينف) قد قام بتشييد سد (رحب) للسيطرة على مياه الامطار والاستفادة من السيول ، وهو جزء من مشروع (سد مأرب) . وقد تولى ابنه (يثع امر بين) استكمال هذا المشروع فأمر بتشييد سد آخر عرف بسد (حبابض) الذي مكن كثيرا ً من الاراضي من الاستفادة من اكبر مقدار من المياه التي يستطيع هذا السد حجزها وراءه .

وقد حفظت لنا النقوش اخبار حروب ضارية خاضها المكرب (يثع أمر بين) وخليفته (كرب آل وتر ٦٢٠ – ٦١٠ ق. م) ضد دولة معين وقتبان وأوسان وحضرموت . وقد حقق السبأيون انتصارات ساحقة على خصومهم حسبما هو مدون في نقش مطول عثر عليه في موقع معبد المقه الكبير في صرواح ، وقد اطلق على هذا النقش (نقش النصر) .

وقد شجعت هذه الانتصارات التي تحققت على يد (كرب ايل وتر) هذا المكرب على تبديل لقبه الى ملك . وبذلك اصبح عهده هو الحد الفاصل بين فترة حكم المكارب وفترة حكم الملوك لبلاد سبأ .

ثانيا : ـ فترة حكم ملوك دولة سبأ ؟

كان اول من تلقب من حكام سبأ بلقب الملك هو (كرب أيل وتر) . وتمتاز هذه الفترة بانتقال الحكم من مدينة صرواح الى مدينة مأرب التي عدت عاصمة للعهد الجديد .

ان احتكار العرب وعلى رأسهم السبأيين في هذه الفترة لتجارة النقل البري والبحري قد أثار حسد الرومان ودفعتهم في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد الى محاولة استكشاف مواعيد الرياح الموسمية التي تهب على البحر الاحمر والعمل على تسيير سفنهم التجارية فيه لمنافسة العرب في هذا المجال ، وقد نجح احد الملاحين الرومان وهو (هبارخوس) في تحقيق هذا الهدف فأخذت السفن المصرية والرومانية تبحر في المحيط الهندي وتجلب البضائع من جنوب آسيا والهند من دون حاجة الى وساطة السبأيين ، وهكذا لم يعودوا يحتكرون التجارة ، واخذت البضائع الهندية تسير في الطريق البحري من المحيط الهندي الى البحر الاحمر وتنزل بضائعها في الموانيء المصرية او في العقبة رأسا ً . وقد ادى هذا الى تناقص اهمية الطريق البري الذي كان يسير من عدن مخترقا ً الهضبة اليمانية الى وسط الحجاز .

لقد ترتب على هذه التطورات ضعف مركز ملوك دولة سبأ نتيجة لضعف الموارد الاقتصادية لدولتهم كما ان هذا التطور قد ساعد المدن الساحلية على الانتعاش نتيجة للخدمات التي تقدمها في الموانيء للسفن البحرية . وكان ابرز من استفاد من هذا التطور في الجنوب العربي هم الحميريون الذين كانوا يسكنون منطقة ريدان أي منطقة (ظفار) .

ويلاحظ ان الحكم في دولة سبأ خلال الدور الملكي لم يكن مقصورا ً على اسرة واحدة ، وانما ضم عدة أسر كانت تتنافس فيما بينها للسيطرة على الملك استنادا ً الى قوة القبائل التي تنتمي اليها .

ثالثا : ـ فترة حكم ملوك سبأ وذو ريدان (الدولة الحميرية) .

ان هذا العهد يبدأ في حوال سنة ١١٥ ق. م ، او قبل ذلك بقليل أي في سنة ١٠٩ ق. م . غير ان الباحثين اخذوا بالتخلي عن هذا الرأي واتجهوا الى ان هذا العهد قد بدأ في حوالي سنة ٣٠ ق. م ، وذلك لان (الشرح يحضب) كان اول من حمل هذا اللقب .

ان سبب ظهور هذه التسمية الجديدة ، ان هذا الاسم ظهر حينما قام ملك ذو ريدان (ظفار) الحميري بغزو مدينة مأرب عاصمة سبأ اثر حملة اليوس كالوس في سنة ٢٤ ق. م الفاشلة ضدها . وقد نجح الملك الحميري في احتلال مأرب . لذا فقد اطلق على نفسه (لقب سبأ الى جانب لقبه ذو ريدان . لكن احتلال مدينة مأرب من قبل الحميريين لم يدم طويلا ً لان أقيال سبأ من منطقة الاراضي المرتفعة غرب مدينة مأرب طردوا الملك الحميري منها واعادوا بذلك الحكم الى السلالة الملكية السبأية التقليدية فحكموا بأسم (ملك سبأ وذو ريدان) كما ان ملك حمير في ظفار الذي طرد من مدينة مأرب لم يتخل عن لقبه الجديد وهو (سبأ وذو ريدان) ، وبذلك نجد ملكين يحملان هذا اللقب ، واحد من سبأ والاخر من حمير) .

وترينا كتابات هذا العهد ان الوضع كان قلقا ً مضطربا ً باليمن ، وان حروبا ً متوالية كانت تقع في تلك الايام ، لا تنتهي حرب الا تلتها حرب اخرى ، وان المنتصر في

الحرب كان كالخاسر . والمتشاجرون البارزون في تلك المعارك والحروب هم سادات همدان ، وسادات حمير اصحاب (ريدان) وسادات حضرموت وقتبان .

وقد اضعف هذا الوضع بمجمله الدول العربية الجنوبية واطمع الرومان والاحباش في هذه الدول وجعلهم يحاولون التدخل في شؤونها ، ولارتباط الاحداث المشار اليها آنفا ً بحملة اليوس كالوس التي قام بها الرومان في سنة ٢٤ ق. م .

حملة يوليوس جاليوس على اليمن في سنة ٢٤ قبل الميلاد .

لم تتحدث النقوش اليمنية القديمة التي عثر عليها عن هذه الحملة ، وان مصدر معلوماتنا الاساس عنها هو ما كتبه (سترابو) الذي كان صديقا ً لوالي مصر الروماني في ذلك الوقت اليوس كالوس الذي قاد هذه الحملة ضد العربية السعيدة . وقد كان هدف الرومان من هذه الحملة كما يقول سترابو محاولة احتلال بلاد العرب التي اشتهر اهلها بالغنى . وقـد اعتمد الرومان في هذه الحملة على حلفائهم من الانباط ، فكان معهم الوزير النبطي صالح (سيلاس) على رأس ألف مقاتل من الانباط .

كانت اول المدن التي تعرضت للهجوم هي مدينة نجرانا ، التي تبعد مسيرة ستة ايام عن نجران . دارت معركة بين جيش اليوس كالوس والعرب . وقد زعم سترابو انه قد قتل في هذه المعركة عشرة آلاف من العرب في مقابل رجلين من الرومان . ولا شك ان هذه مبالغة تدعو الى الاستغراب . وتثير عدة تساؤلات حول عدد جيش الرومان ونوعية تسليحهم كي يستطيعوا تحقيق مثل هذا الانتصار العجيب ان كان قد حصل حقا ً ثم يواصل سترابو ذكر المدن التي احتلها الرومان من غير مقاومة فيذكر مدينة اثرولا (يثل) ، حتى وصلوا الى مدينة ماريابا (مأرب) ، ولكن مدينة مأرب كانت قوية التحصين مما اضطر الرومان الى محاصرتها فترة ، ثم النكوص عنها بسبب قلة المياه كما يقول سترابو ، وقد فاته ان ينتبه الى كثرة المياه قرب مأرب بسبب وجود السد الشهير (سد مأرب) . ويبدو ان الحقيقة التي حاول سترابو اخفاءها هي ان الجيش الروماني قد تعرض لمقاومة عنيفة جعلت امر اقامته في بلاد العرب امرا ً مستحيلا ً . لا شك ان مما تقدم يدل على حجم المقاومة التي لقيها الغزاة لذا فقد فضلوا الانسحاب والعودة الى

بلادهم متذرعين بقسوة المناخ وقلة الماء وسوء الدليل ولم يحاول الرومان تكرار هذه المحاولة في غزو جزيرة العرب بعد ان تعلموا منها درساً لا ينسى .

رابعا:ــ فترة حكم ملوك سبأ و ذو ريدان وحضرموت واعرابهما في الطود والتهائم .

لقد بدا هذا الدور من أدوار الحكم في الدولة السبئية قبل نهاية القرن الثالث الميلادي بقليل ، وقد اقترنت بداية هذا الدور بحكم الملك شمريهرعش الثالث الذي اطلق على نفسه لقب الملك ((سبأ وذو ريدان وحضر موت ويمنت)) وذلك لان هذا الملك قد افلح في خلال الفترة الثانية من حكمه في بداية القرن الرابع للميلاد ان يمد سلطان دولة سبأ الى حضرموت والمناطق الجنوبية من اليمن بما فيها الأجزاء الساحلية المطلة على البحر حيث تقوم الموانئ و الثغور و من بينها ميناء قنا . وقد كان يطلق على هذه الأجزاء الجنوبية من الجنوب العربي ((يمنات)) .

ويلاحظ ان الدولة السبأية قد نجحت في عهد شمهريرعش الثالث في التوغل باتجاه الشمال (وقاتلت عشائر من عرب الشمال في عسير فيما وراء وادي عتود) ، ولا يستبعد ان تكون لتلك العشائر صلة بامرئ القيس بن عمرو ملك الحيرة (مات في سنة ٣٢٨ م) الذي كتب على شاهد قبره (في نقش النمارة) انه ملك العرب كلهم وانه أخضع فيمن أخضع الاسدين ونزار ومعد وانه شتت مذ حج وبلغ نجران مدينة شمر . وكل تلك الاشارات توحي بانه ربما كان شمريهرعش في اخريات أيامه ان يواجه جداراً قوياً في الشمال له صلات متينه بالرومان . وهذا في ذاته يفترض صلات حسنة بين شمريهرعش والفرس .

غير ان هناك نقشاً سبئياً يشير الى ان العلاقة بين هذا الملك و الفرس لم تكن على مايرام ، بدليل ان قائداً من قواده كان قد قاد اعراباً من الفرسان و الهجانه غزا بهم ملك (اسد) وارض تنوخ التي تخص الفرس . وذكر النقش ان ارض تنوخ كانت تحت حكم مملكتين يقال لاحدهما (

قطو) أي القطيف و الأخرى (كوك) او كوكب . وقد انزل اعراب شمريهرعش بها خسائر فادحة .. ويستنتج مما تقدم ان شمريهرعش لابد ان يكون على اتفاق تام مع اعراب نجد ، ولا سيما سادة كندة ، اذ كان من العسير عليه التوسع باتجاه الاحساء وساحل الخليج لو لم يكن على صلات حسنه بهم .

حتى اذا توفي شمريهرعش (انتقل الملك الى خلفه (ياسر يهنعم الثالث) : انفصلت (حضرموت) عن تلك الحكومه واستقلت ارض (سهرت) واستعاد الجيش سلطاتهم في السواحل الغربية للعربية الجنوبية ، وانتهز (الاقيال) وسادات القبائل هذه الفرصة ، فكونوا حكومات اقطاعية ، يحارب بعضها بعضا ، وعمت الفوضى تللك البلاد .

وتشير نصوص المسند الى انه في هذه الفترة ، ربما نتيجة للفوضى و الإهمال تهدم قسم من سد مأرب (سد حبايض) ، فاضر ذلك بالمزارع التي كانت ترتوي منه ، فأمر الملك با صلاحه وباعادة بنائه . وكان ذلك في حوالي سنة ٣٤٠ م .

قد اشارت النقوش الئ ان سد مأرب قد تصدع للمرة الثناية لذا فقد امر الملك ياسر يهنعم باصلاحه واعادته الى ماكان عليه . ان ماتقدم يدل على ان سد مارب قد اخذ يعاني من الإهمال وقلة الصيانة مما يهدد مستقبل الزراعة في بلاد مأرب بالخطر

وقد تولى الملك في دولة سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات عدد من الملوك فمن بعد حكم الملك (ملكيكرب يهأمن) ابنه (اب كرب اسعد) (ابو كرب اسعد الكامل) الذي شارك اباه الملك في حياته ، اذ ورد اسمه في نقش مؤرخ في سنة ٣٨٤ م واستمر في الملك حتى وفاته في حوالي سنة ٤٣٠ م ، وقد استطاع هذا الملك من خلال مدة حكمه الطويلة توسيع ملكه حتى بلغ البحر الأحمر و المحيط الهندي و الأقسام الجنوبية من نجد ، وربما كان قد استولى على جزء كبير من الحجاز ، وقد ترتب على هذا التوسع ان خضع لحكمه اعراب جنوب نجد من قبائل (معد) وقبائل تهامة او التهائم أي المنخفضات الساحلية . لذ فقد أضاف هذا الملك الى لقب الملك السابق ما يدل على هذا التوسع في سلطان ملوك سبأ ، فاخذوا. يلقبون منذ هذا العهد ، ((ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت ، واعرابها في الطود والتهائم .

كما يلاحظ ان عقيدة التوحيد المتمثلة بعبادة رب السموات (ذي سماوي) قد بدت واضحة ومسيطرة في نقوش هذه الفترة فقد جاء في النقوش الخاصة بتعمير سد مأرب عبارة : ((بنصر وبعون الاله رب السموات و الأرض)) وكذلك ((الاله الذي له السموات و الأرض)) .

العلاقات ما بين الحبشة واليمن قبل الاسلام .

من المفيد ان تقدم نبذة موجزة عن العلاقات الحضارية والسياسية بين بلاد الحبشة واليمن قبل الحديث عن سيطرة الاحباش على اليمن ، وذلك لان العلاقة بين هذين البلدين الذين ينتميان الى قارتين مختلفتين لا يفصل بينهما سوء مضيق باب المندب . وان عرض البحر الاحمر ليضيق عند هذا الموضع الى درجة يسهل معها لمن يقف على احد شاطئيه رؤية مرتفعات الشاطيء المقابل .

وقد اغرى هذا القرب الجغرافي بين البلدين فضلا ً عن التشابه في طبيعة الارض والمناخ اهل اليمن منذ القرن السابع قبل الميلاد بالهجرة الى ارض الحبشة للتجارة او للاقامة الدائمة . فنجدهم يبنون نفس النوع من الابنية والمنشآت والصهاريج التي عرفت في اليمن ، ويطلقون على بعض الاماكن اسماء عرفوها في الوطن الاصلي كعادة المهاجرين دائما ً ولا يزال التأمل في اسماء بعض الاماكن التي وجدت حول مصوع يلمس ما عليها من مسحة عربية ، كما ثبت ان اقدم النقوش التي وجدت هناك وتعود الى القرن الخامس قبل الميلاد كتبت بالخط المسند .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان اصل الاحباش من غرب اليمن من سفوح الجبال وقد يكون هؤلاء على صلة بسكان جبل حبيش في اليمن ، حيث انهم لما هاجروا من هذا المكان الى افريقيا اطلقوا اسم موطنهم الاصلي على الارض الجديدة التي عرفت باسمه أي (حبشت) او (الحبشة) . ويرى هؤلاء الباحثون ايضا ً ان (الجعز) أم (جعيزان) هم من اصل عربي

جنوبي ، هاجروا الى الحبشة وكونوا فيها مملكة ، والى هؤلاء نسبت لغة الاحباش (اللغة الجعزية) . كما عبدت الآلهة اليمنية (المقه) في الحبشة .

وكانت ابرز الدول الحبشية التي مارست سياسة التدخل في شؤون اليمن هي مملكة اكسوم التي برزت الى الوجود في القرن الاول الميلادي . ففي اواخر هذا القرن اخضع ملك اكسوم السواحل المقابلة لمملكته واجبر سكانها على دفع الجزية .

ان مملكة اكسوم كانت على الديانة الوثنية حتى القرن الرابع الميلادي . وكان اول الملوك اعتناقا ً للنصرانية إذ عمل على نشرها في الحبشة هو الملك (عزانا) . كما حاول الاحباش نشر النصرانية في اليمن في حوالي سنة ٣٥٤ م حيث انشأوا كنيسة في ظفار . وقام الاحباش (الاكسوميون) باحتلال اليمن في عهد ذي نؤاس وبتشجيع من الروم البيزنطيين .

لقد كان على رأس حملة الاحباش التي احتلت اليمن في سنة ٥٢٥ م ملك اكسوم (كالب إلا أصبحة) وكان برفقته احد اقارب ملك حمير السابق ذي نؤاس (سميفع أشوع) الذي كان لاجئا ً في الحبشة بسبب معارضته لذي نؤاس . وقد نصب (سميفع أشوع) ملكا ً على عرش حمير مع اعترافه بالتبعية (لأ لاأصبحة) ملك أكسوم وتعهده بدفع الاتاوة له .

اما قادة الوحدات العسكرية الحبشية في اليمن فقد شكلوا الى جانب الملك (سميفع أشوع) مجلسا ً استشاريا ً كان من بين مهامه الرسمية حماية الملك من اعدائه .

ويبدو ان الثروة والسلطة في اليمن اخذت تتركز في ايدي قادة الجند ، ويمثلهم ارياط رئيس المجلس الاستشاري ، والملك سميفع اشوع الذي يمثل طبقة القادة والاعيان من حمير . وقد اشير الى ان هذا الوضع قد أثار عامة الجند والفقراء وكان على رأسهم احد جند الاحباش وهو ابرهة (أبرام أو ابراهيم) ، فتمكنوا من قتل ارياط وعزل الملك سميفع أشوع وهكذا اصبح ابرهة هو الملك والحاكم الفعلي لبلاد اليمن ، وكان ذلك في حوالي سنة ٥٣٢ م .

نشبت ثورة عارمة في اليمن ضد ابرهة في بداية سنة ٥٤١ م أو بداية سنة ٥٤٢ م . وتزعم الثوار ملك كندة (يزيد بن كبشت) الذي كان نصبه أبرهة عاملا ً على كندة . ولقد نجحت القوات المتحدة لاقيال سبأ وحمير ومعهم البدو من كندة في السيطرة على جميع المناطق الجنوبية لحمير ، ثم اقتحمت اواسط البلاد حيث توجد العاصمتان ظفار وصنعاء وافلحوا في

الحاق الهزيمة بوحدات المستوطنات العسكرية الاثيوبية (الحبشية) التي ارسلت ضدهم . وقد اضطر أبرهة امام هذا الموقف الى التفاوض مع الثائرين فأعترف لهم بامتيازاتهم ، وعرض على (يزيد بن كبشت) منصب (رأس الجند) ، فوافقوا على ذلك وبسطوا له يد الطاعة .

حملة ابرهة الحبشي على مكة ؟

يبدو من مجمل ما وصل الينا من اخبار ان الدافع لهذه الحملة هو دافع سياسي – اقتصادي اتخذ مظهرا ً دينيا ً ، إذ كان ابرهة الحبشي يحرص على السيطرة على طريق تجارة البخور الذي يمتد من جنوب الجزيرة العربية وحتى بلاد الشام . ولم تكن تطلعات ابرهة في هذا المجال بعيدة عن الاهداف العامة للامبراطورية البيزنطية ودولة اكسوم لذا فقد سعى ابرهة للقضاء على نفوذ مكة الديني والتجاري من خلال بسط سلطانه على مكة وبقية الحجاز بحجة حرصه على نشر المسيحية بين العرب .

حاول عبد المطلب اقناع ابرهة بالتخلي عن عزمه على هدم بيت الله الحرام فلم يجد معه ذلك شيئا ً . ولما كان اهل مكة عاجزين عن مقاومة جيش ابرهة الذي يتفوق عليهم كثيرا ً بالعدد والعتاد ، فقد اسلموا امرهم لله ليتولى انقاذ بيته بمعجزة تتجاوز مدارك البشر ، فكان ما حدثنا القرآن الكريم عنه ، وعاد ابرهة الى الحبشة مريضا ً منهكا ً بعد ان تفشى الوباء (الجدري) في صفوف جنده ، ولم يلبث ان توفي .

لقد توفي ابرهة بعد عودته من مكة في حوالي سنة ٥٧١ م فخلفه ابنه يكسوم على العرش فكان سيء السيرة . ثم ملك من بعده اخاه مسروق بن ابرهة فأشتدت وطأته على اهل اليمن وعم أذاه سائر الناس . وزاد على ابيه واخيه في الاذى ، وقد دفع هذا الواقع اهل اليمن على العمل للتخلص من حكم الاحباش وطغيانهم ، وقد اشار اهل الاخبار الى ان احد زعماء

العرب وهو سيف بن ذي يزن قد اتجه الى الفرس طالبا ً المساعدة على محاربة الاحباش فأنجدوه بقوة محدودة كان لها اثر في رفع معنويات اهل اليمن في القضاء على حكم الاحباش . وكان ذلك في حوالي سنة ٥٧٥ م . وبذلك تخلص اهل اليمن من حكم الاحباش وافسحوا المجال لحكم الفرس ونفوذهم . واصبحت اليمن مقاطعة تابعة للدولة الفارسية وتولى ادارتها عددا ً من الحكام وكان آخرهم (باذان) عامل الفرس على صنعاء وقد صادف حكمه ظهور الاسلام ولذلك فانه قد مال الى الدخول في الاسلام ، وكان ذلك في سنة ٦ هـ / ٦٢٨ م . وبذلك بدأ عهد جديد في تاريخ اليمن ، هو تاريخ اليمن ضمن الدولة العربية الاسلامية .

حضارة اليمن قبل الاسلام .

ان الحضارة العربية في اليمن بابعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية هي نتاج للتفاعل بين قدرات الانسان وبين العوامل الجغرافية السائدة في هذه البلاد . فقد ساعد موقع اليمن على طرق المواصلات العالية في العصور القديمة اهل اليمن على ممارسة دور تجاري واسع جلب الغنى والمعرفة لهم وذلك نتيجة لتعاملهم واتصالهم مع ابناء الحضارات المختلفة . كما ساعدة خصوبة التربة وتوافر المياه الناس في مناطق عدة من اليمن على احتراف الزراعة والتوسع في زراعة المحصولات التي تلقى رواجا ً عالميا ً كالبخور والعطور وغيرها .

ويبدو ان العربية كانت قد بسطت سلطانها على معظم انحاء شبه الجزيرة العربية قبيل الاسلام واصبحت هي لغة الثقافة والادب التي يتحدث بها الخطباء ويكتب بها الشعراء . اما اللهجات الخاصة بالقبائل العربية فقد حافظت على وجودها بصفتها لهجات محلية خاصة . وقد اطلق على لهجة اهل اليمن (اللغة الحميرية) وهي في حقيقتها ليست لغة مستقلة عن العربية وانما هي لهجة . كما ان اهل اليمن لم يكونوا يتحدثون بلهجة واحدة ، وانما بلهجات عدة . وقد اشارة المصادر الاسلامية الى ان لعمارة اليمني كتابا ً بعنوان (اشعار اهل اليمن) وذكر لابن الكلبي كتاب بعنوان (امثال حمير) .

اما ما يخص الحياة الدينية في اليمن قبل الاسلام فانه لم تزودنا النقوش الاثرية في اليمن بمعلومات كافية لدراسة الحياة الدينية في اليمن بصورة متكاملة ، وجل ما وصل الينا عنها

اسماء عدد كبير من الالهة التي كانوا يتقربون اليها بالعبادة ، وقد وصل عددها الى حوالي المائة ، الا اننا في الواقع نجهل معرفة خمسين منها معرفة تفصيلية . ويلاحظ ان الديانة اليمنية القديمة كانت ديانة فلكية يمكن ادراجها تحت احد اجزاء ثالوث يتكون من الزهرة والشمس والقمر . ويبدو ان إله القمر كان هو الاله الرئيس في اليمن ، وهو يتميز بكثرة الاسماء والالقاب التي اطلقت عليه حتى لقد ذهب احد الباحثين الى وصف ديانة اهل اليمن بالديانة القمرية . ويظهر من النقوش اليمنية القديمة ان كل شعب من شعوب اليمن الكبيرة قد انتسب لاله القمر بصفته ابنه ، فالمعينيون اطلقوا على انفسهم (اولاد ود) ، والشعب القتباني تسموا بـ (اولاد عم) اما السبئيون فهم (اولاد المقة) ، والمقة هو اسم اله القمر عن السبئيين .

وان الامر الجدير بالملاحظة ان اهل اليمن لم يصنعوا لالهتهم اصناما ً او تماثيل يتقربون اليها بالعبادة كما فعل عرب الشمال ، وانما رسموا رموزا ً بسيطة على النصب التذكارية في معابدهم للدلالة على آلهتهم ، فرسموا قوسين افقيين على هيئة الهلال لترمز الى إله القمر . وجعلوا الدائرة رمزا ً لالهة الشمس اما الهة الزهرة فقد رمزوا لها بصورة النجمة .

ويلاحظ انه في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي بدأت تظهر علامات تحول في الديانة العربية القديمة في اليمن ، فبعد ان كان ملوك سبأ يتقربون الى إله القمر (المقة) بدأوا يتقربون الى الاله (ذي سماوي) أي رب السماوات مما يدل على انهم بدأوا يتجهون الى عقيدة التوحيد .

ان الازدهار الاقتصادي والسياسي الذي عرفته اليمن في تاريخها الطويل قد كان اثاره الواضحة قيام نهضة عمرانية وفنية كبيرة تمثلت في المدة الكبيرة مثل مأرب ومعين وبراقش وظفار وشبوة وناعط وبينون وصنعاء وغيرها . كما تمثلت في تشييد القلاع العظيمة (المحافد) التي تضم في داخلها قصورا ً فخمة يعيش فيها الاذواء والاقيال وهم سادة الاقطاع في اليمن .

وقد ساعدت ارض اليمن الغنية بالاحجار وبخاصة الكرانيت والجبس والاحجار الجيرية والبازلت فضلا ً عن الاخشاب التي جادت بها غابات اليمن ، المعمار اليمني على التفنن في العمارة واقامة القصور والمعابد ذات الاعمدة الضخمة ، والابراج الشاهقة . وقد لوحظ ان

المعمار اليمني قد استعان بمعدن الرصاص في ربط الصخور والاعمدة ببعضها حتى تبدو وكأنها قطعة واحدة .

وقال الهمداني في وصف قصر غمدان انه يتألف من عشرين سقفا ً أي طابقا ً ، وارتفاع كل سقف عشر اذرع ، فيكون مجموع ارتفاع القصر مائتي ذراع . ان ما ذكره الهمداني عن قصر غمدان لا يخلو من مبالغة وتهويل ، لان الرجل لم يشاهد سوى انقاض القصر وخرائبه ولكن الصورة التي قدمها عن هذا القصر وعن كثير من القصور والمعابد والقلاع التي شاهد بقاياها في اليمن لتدل بما لا يقبل الشك على مدى التقدم العمراني الذي تحقق فيها خلال العصور القديمة .

ولم تقتصر جهود اهل اليمن على اقامة المدن وتشييد القلاع والقصور ، بل امتدت باتجاه شق الطرق واقامة السدود لحجز المياه من اجل الاستفادة منها في اعمال الري والتوسع في الزراعة . وقد اورد الهمداني اسماء عشرات من السدود التي كانت قائمة في اليمن ، غير ان اكبر هذه السدود واشهرها هو سد مأرب الذي كان يسمى (سد العرم) . وقد أنشأ هذا السد ملوك سبأ في حوالي القرن الثامن قبل الميلاد واستمر قائما ً حتى القرن السادس الميلادي ، وبذلك تكون حياة هذا السد قد وصلت الى حوالي ١٣٠٠ عام . ويستنتج من مجمل الاوصاف التي وصلت الينا عن سد مأرب (العرم) ان هذا السد قد أنشأ في (وادي أذنه) الذي تصب فيه روافد مياه الامطار التي تأتي من المناطق المجاورة . وبذلك تشكل المياه المتجمعة امام جدار السد في وادي أذنه خزانا ً مائيا ً كبيرا ً اشبه بالبحيرة . ويقع وادي أذنه في فرجة بين سطحي جبل يلق ، وهو جبل بركاني ارتفاعه ٤٠٠ م ، وتبلغ سعة هذه الفرجة في اولها التي تشكل خزان السد ٢٠٠ م ثم تتسع كلما ابتعدنا عن مدخل الخزان حتى يبلغ عرضها في منتصفه الى نحو ٥٠٠ م ، ثم تأخذ في الضيق الى ان تبلغ نحو ١٧٥ م في مخرج الخزان ، وقد أنشأ جسم السد عند هذا الموضع .

وخلال التاريخ الطويل لسد مأرب فقد تعرض الى عدة تصدعات وجرت عليه عدة ترميمات ويلاحظ ان ترميم ابرهة لسد مأرب كان آخر ترميم له ، ولم يمض وقت طويل حتى تهدم مرة اخرى ، ولم تعد له قائمة بعد ذلك . وقد تحير المؤرخون العرب في مسألة تهدم السد وخرابه .

وقد انفرد المسعودي بتقديم تعليل لانهدام السد يتفق ومعطيات العلم الحديث حيث يقول : وعمل الماء في اصول ذلك المخراق – أي السد واضعفه ممر السنين عليه وتدافع الماء حوله ، وقد قيل في المثل : اذا اثر تواتر الماء على الحجر الصلد ، فما ظنك بسيل يتدافع على حديد وحجر مصنوع فنحن هنا ، امام ظاهرة التعرية والتآكل التي اضعفت السد ، مع اهمال الصيانة الدائمة بسبب ضعف دول اليمن ووقوع البلاد تحت التسلط الاجنبي . وفضلا ً عما تقدم تعرض السد الى سيول عدة ، نتيجة سقوط الامطار بكميات غزيرة في بعض الاوقات تفوق طاقة السد على خزن المياه مما ترتب عليه حصول تهدم وانكسار في جسم السد وقد اضعفت الترميمات المتوالية جدار السد . وادى تراكم الطمى والغرين في قاع الوادي الى اضعاف طاقته على خزن المياه . فانهار السد بصورة كاملة واصبح اثرا ً من آثار الماضي التليد .